البراك يكتب تاريخ الدلم الحديث

كتاب الدلم مقدمة لكتب تخصصية في تاريخ وجغرافية المنطقة

■ أصدر الأستاذ عبدالعزيز بن ناصر البراك كتابا اثريا سماه «الدلم في مائة عام ١٣٢٠ - ١٤٢٠هـ»، ووقع في ٤٦٣ صفحة تم تقسيمها الى فصول عدة، تحدث في أولها عن الأماكن والمواقع الجغرافية، ثم عقد دراسة موسعة عن معركة الدلم الشهيرة بين الملك عبدالعزيز والأمير عبدالعزيز بن رشيد، اضافة الى رصده للحركة التعليمية والزراعية، وابرازه للشواهد الحضارية والانجازات العمرانية بإحصائيات موثقة جعلت الكتاب مرجعاً مهماً لتاريخ الدلم.

وقد بدأ المؤلف أول فصول الكتاب بالأماكن الجغرافية أثناء حديثه عن أهم المواقع في الدلم، وقد أحسن الوصف بطريقة تجعل القارئ يشعر وكأنه يعاين تلك المواقع ويتجول بين الأماكن القديمة التي بقيت شاهدة على عمق تاريخ الدلم.

وقد عدد المؤلف عبدالعزيز البراك من الأماكن التاريخية مستشهدا في ذلك بأقوال جملة من الشعراء في طليعتهم الشاعر الذي عاش في الزمن الجاهلي قبل الإسلام امرؤ القيس الذي يصف في شعره فرسه وهي في منطقة ماوان فقال:

عظيم طويل مطمئن كأنه
بأسفل ذي ماوان سرحه مرقب
ويخطو على صم صلاب كأنها
حجارة غيل وارسات بطحلب

ومنهم الشاعر علي بن المقرب العيوني حيث قال:

ما أنصف الطلل العاني بماوانا
لم نسجه يوم سلمنا وأشجانا

وتعتبر ماوان من أهم أودية الدلم.

كما استشهد المؤلف ببحث للزميل الدكتور عبدالعزيز بن سعود الغزي عن مستوطنة الرغيب وأنها هي الخرج القديمة، ومن ثم يتناول المؤلف معركة الدلم الشهيرة من خلال الرواية عند الأهالي أو كما يراها المؤرخ العسكري الفريق ناصر العرفج وغيره.

وبعد ذلك استشهد بشعر ما يسمى بالحربيات وهي نمط من الشعر يبث روح الحماسة والشجاعة لدى الجيش المقاتل.

وبعد ذلك ينتقل المؤلف ليسجل أهم الزيارات التي عقدها جملة من الملوك والأمراء الى الدلم.

وكانت أولى تلك الزيارات للملك عبدالعزيز يرحمه الله حيث زار الدلم في عام ١٣٢٠هـ، ومكث فيها أسبوعا، وعاد إليها مرة أخرى عام ١٣٤٠هـ لتفقد مشروع خفس دغره الزراعي.

وفي فصل آخر يتناول المؤلف التنظيم الإداري للدلم

عبدالرحمن بن عمر بن حسين

مع ذكر جملة من الأعلام الأوائل الذين تولوا عددا من المناصب الهامة، ولعل أقدم القضاة الذين تشرفت بهم الدلم الشيخ الجليل العالم علي بن محمد البسام الحنبلي عام ١٠٨٧هـ، ومن المعاصرين العلامة الزاهد الشيخ عبدالعزيز بن باز في الفترة ١٣٥٧ - ١٣٧١هـ، رحمهما الله تعالى.

كما تناول المؤلف حركة التعليم في الدلم وبيان اثرها الهام في ازدهار المنطقة وتطورها، ومن جملة الرواد الذين كان لهم أثر بارز في ذلك الشيخ عبدالله بن عتيق آل مسلم الذي تولى التدريس في مدرسة آل عتيق هو وأبناؤه الكرام محمد وعبدالرحمن وعبدالعزيز وعتيق وأحمد. كما يجدر التنبيه الى عدد من الكتاتيب كان لها أثر واضح في صقل مواهب النشء من فترة مبكرة وتوجيههم الى حفظ القرآن والتحلي بفضائل الأخلاق وأحاسن الشيم.

كما لم يهمل المؤلف بيان طريقة الدراسة وكيفية الصرف على المعلمين من خلال جملة من الأوقاف التي يستفاد من ريعها في تزويد أهل التعليم بأشياء عينية ككيس من البر، أو نقدية نحو ريال أو ريالين على الطالب الواحد.

كما أبان المؤلف عن دور القضاة في التعليم الى جانب ممارسة عملهم القضائي في المحاكم الشرعية، حيث يعقد احدهم حلقة علمية في المساجد أو في منازلهم، لنشر الوعي الشرعي بين أوساط الطلبة والناس، كما كانت لهم إسهامات في نشر الكتب الشرعية عن طريق الاستنساخ، ومن أشهر هؤلاء القضاة الشيخ علي بن محمد بن بسام ١٠٨٧هـ، والشيخ عبدالعزيز بن صالح الصرامي، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز عند توليه القضاء في الدلم عام ١٣٥٧ - ١٣٧١هـ، حيث توافد عليه طلاب العلم من أبناء الدلم والمدن المحيطة بها، ونفعهم الله بعلم الشيخ وفضائله وشيمه وأخلاقه.

والملاحظ ايضا ان تعليم البنات قد بدأ مبكراً من خلال كتاتيب نسائية تضم جملة من بنات الدلم ونسائها، الى ان بدأ التعليم النظامي عام ١٣٨١هـ.

وفي فصل الوثائق في الدلم لم يهمل المؤلف جانبا مهما وهو المخطوطات والوثائق التي تدلل بصدق على أن الدلم واحدة من البلدان التي كانت وجهة مهمة لطلاب العلم وشداة المعرفة، وإن كان ما ذكره المؤلف يحتاج الى مزيد دراسة وتوثيق لأنني أتوقع أن يكون هناك وثائق عديدة لم تطلها أيدي الباحثين، وأعرف اشخاصا يحتفظون بعدد لا بأس به من الوثائق والمخطوطات الهامة.

كما تناول المؤلف مشروع خفس دغره الزراعي الذي يعتبر من أوائل المشروعات الزراعية التي أمر بها الملك عبدالعزيز رحمه الله عام ١٣٥٨هـ، وكان المشروع محل اهتمامه سعى من خلاله إلى توفير الأمن الغذائي للمملكة، وقد بلغ عدد العاملين في المشروع في فترة من الفترات قرابة ١٠٠٠ عامل فني وإداري.

وهناك فصول أخرى تناول فيها المؤلف المؤسسات الأهلية ورصد الحركة الثقافية من خلال أشهر شعراء الدلم، مستشهداً بأبرز قصائدهم مبيناً المناسبة التي قيلت فيها تلك القصائد.

كما أن هناك فصلاً عن الحياة الاجتماعية والتجارية والصناعات الخفيفة في تلك المنطقة، وفصلاً مهماً عن حقول النفط التي اكتشفت، وبيان أول اكتشاف نفطي حصل عام ١٤١٠هـ سمي: بئر الدلم.

وقد ذكر المؤلف أهمية منطقة الدلم أثناء حديثه عن المواقع الأثرية، وتحدث عن الدوائر الحجرية التي يعود تاريخها إلى ٩٠٠ قبل الميلاد والمدافن الركامية و غيرها من الشواهد الدالة على عمق تاريخ الدلم.

كما تحدث عن وادي ماوان الذي ما زال يحتفظ بأطلال مبان وآثار مقابر تعود إلى القرن الخامس الهجري، وبقايا مدينة قديمة حكمها آل زامل تعود إلى القرن الحادي عشر.

وهناك جزء متبق من سور الدلم الذي يعود بناؤه إلى عام ١٢١١هـ في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود.

ومن المواقع الأثرية غار الإمام تركي بن عبدالله الواقع على هضبة عالية وقد اختبأ الإمام تركي داخل هذا الغار وكتب قصيدته التي يقول فيها:

سر قلم واكتب على ما تورا
اكتب سلامي لابني عمي مشاري
إذا كل خوي من خويه تبرا
حملت أنا الاجرب خويا مباري

وبعدها يختتم المؤلف كتابه بصور جميلة للدلم مرفقة ببعض الوثائق الهامة التي اعتمد عليها في هذا الكتاب القيّم.

غلاف الكتاب

فإني اشكر الأستاذ المؤلف عبدالعزيز بن ناصر البراك على ما قام به من جهد في إبراز جوانب تاريخية أثرية مهمة خفية من تاريخ الدلم، مما جعل كتابه هذا إضافة علمية في تاريخ هذه المنطقة.

وإن كانت لي من ملاحظات فيمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: الخلط في بعض المواطن بين المواقع الجغرافية والتاريخية حيث حصل تكرار واضح في مثل سوق المسحب حيث أورده في فصل الأماكن والمواقع الجغرافية، ثم أعاد تكراره في المواقع الأثرية، والشيء نفسه يقال مع جبل أبو ولد.

ثانياً: تكرار ملاحظ في بعض القصائد الشعرية مثل قصيدة امرؤ القيس في ذكر ماوان.

ثالثاً: كنت أتمنى أن يعقد مؤلفنا الفاضل فصلاً عن «الدلم في شعر الشعراء»، وهو جانب مهم باستطاعة المؤلف الكريم أن يتحفنا به مستقبلاً إن شاء الله.

فهذه قراءتي لهذا الكتاب القيّم وما أبديته وجهات نظر لا تقلل من قيمة هذا السفر الممتع، ونسأل الله تعالى للمؤلف دوام التوفيق.

قوافل

حول الآثار في عهد الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز

د. عبدالعزيز بن سعود الغزي

■ حظي التعليم بمختلف فروعه بدعم كبير من الملك فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - فحدثت انطلاقة كبيرة في عدد الطلاب والمدارس والمعلمين والجامعات وأعضاء هيئة التدريس والجامعات الأهلية والكليات المختلفة، كما حظي البحث العلمي بدعم لا محدود من قبله - رحمه الله - فنشطت الثقافة في بلادنا بمختلف أنواعها العلمية المتخصصة والثقافية العامة، ومن بين المجالات التي ازدهرت في عهد الملك الراحل مجال الدراسات الآثارية، فعندما كنت في السنة الرابعة من الدراسة الجامعية حدثت وفاة الملك خالد - يرحمه الله - ومبايعة الملك فهد حاكماً للبلاد وكان ذلك عام ١٤٠٢هـ وهو العام الذي كان قسم الآثار والمتاحف خلاله في حي الملز في الرياض. ولم يلبث طويلاً حتى انتقل مع جامعة الملك سعود إلى المدينة الجامعية الحديثة في الدرعية حيث تقوم الجامعة الآن، فنشطت حركة الأبحاث في القسم واستمرت الأعمال الميدانية في موقع قرية الفاو في محافظة وادي الدواسر في منطقة الرياض وموقع الربذة في منطقة القصيم. واستمرت الأعمال في كلا الموقعين حتى عام ١٤٢٤هـ عندما انتقلت إلى موقعي الخريبة والمابيات في محافظة العلا في منطقة المدينة المنورة ولاتزال الأعمال مستمرة إلى وقتنا الحالي. ومن نتائج هذه الأعمال تكون متحف قسم الآثار والمتاحف في كلية الآداب. كما حقق القسم تطوراً آخر في المجال الاكاديمي فتنوعت فيه التخصصات واستحدثت فيه برامج جديدة أهمها برنامجا الماجستير والدكتوراه في مجال الدراسات الآثارية القديمة والإسلامية، وتطورت الدراسة في هذين البرنامجين حتى أصبح لهما سمعة على مستوى العالم العربي فالتحق بهما عدد من الطلبة من الدول العربية الشقيقة من الأردن ومن الكويت ومن البحرين.

أما في مجال الأعمال الميدانية فيما يخص وكالة الآثار والمتاحف في وزارة التربية والتعليم فقد تلقت هي الأخرى دعماً غير هين مما مكنها من تحقيق أعمال ميدانية في جميع مناطق المملكة العربية السعودية. ففي عهد الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز برزت شخصية العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية من خلال الأعمال الميدانية التي نفذت في العديد من المواقع ذات العلاقة والتي بينت استمرارية استيطان المملكة العربية السعودية منذ مليون عام وأكثر حسبما أفادت الأعمال التي تمت في مواقع الشويحطية في منطقة الجوف بالقرب من مدينة سكاكا، والأعمال التي تمت في مواقع وادي صفاقة في محافظة الدوادمي، والأعمال التي نفذت في الثمامة إلى الشمال الشرقي من مدينة الرياض.

كما نفذت أعمال ميدانية في منطقة القصيم شملت عدداً من محافظات المنطقة، وفي منطقة الرياض حيث شملت محافظات عديدة مثل المزاحمية والقويعية وما حول مدينة الرياض ذاتها ومحافظة ثادق ومحافظة المجمعة ومحافظة الغاط ومحافظة الزلفي نتج عن هذه الأعمال الميدانية معرفة الكثير من ظواهر التاريخ القديم في هذه الأجزاء.

ومن حيث التنقيبات الميدانية والدراسات المتخصصة في مواقع محدودة فلقد نفذت العديد من الأعمال في مواقع عديدة مثل تيماء في منطقة تبوك والحجر في منطقة المدينة المنورة والصنيميات في منطقة الجوف والأخدود في منطقة نجران ومدافن جنوب الظهران وموقع تاج وموقع الدفيء ومواقع واحد بيرين وسبخة الضبطية في المنطقة الشرقية. كما تم اجراء العديد من المسوح الميدانية للنقوش والكتابات في عدد من مناطق المملكة العربية السعودية.

وإلى جانب ذلك نجد أن أغلب الحاصلين على الدرجات العلمية العالية، ماجستير ودكتوراه، سواء من جامعات داخل المملكة العربية السعودية أو من جامعات خارجة تم تحصيلهم العلمي خلال عهد خادم الحرمين الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله -.

وإلى جانب الأعمال العلمية الميدانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك الراحل تم انشاء مركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي يحتوي على عدد من مراكز الأبحاث العلمية المتصلة بتاريخ بلادنا الغالية وانجازاتها على مر العصور، ففيه توجد دارة الملك عبدالعزيز، ومكتبة الملك عبدالعزيز، والمتحف الوطني، ووكالة الآثار والمتاحف، وإلى جانب ذلك يعتبر المركز بما يشتمل عليه من مرافق انجازاً حضارياً قابلاً للتطوير كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

ومن آخر التطورات في مجال الآثار صدور التوجيهات الكريمة بضم وكالة الآثار والمتاحف إلى الهيئة العليا للسياحة، ثم صدور توجيهات أخرى بتطوير قسم الآثار والمتاحف في كلية الآداب في جامعة الملك سعود إلى كلية للسياحة والآثار في الجامعة ذاتها. هذه خطوط عامة لتطور الآثار والمتاحف في عهد خادم الحرمين الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز.

التاريخ حفظ للملك فهد كثيراً من المنجزات

أ.د. أحمد عمر الزيلعي *

■ لقد فجعنا نحن اعضاء جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية كما فجع الملايين غيرنا في كل مكان من العالم بوفاة فقيد الامة العربية والإسلامية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله)، ولا يسعني في هذا المقام بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن زملائي اعضاء الجمعية الا ان نتقدم بأحر التعازي، وصادق المواساة لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وولي عهده الامين سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز، ولابنائه وسائر افراد أسرته الكريمة والشعب السعودي والعربي قاطبة في وفاته يرحمه الله. سائلين الله سبحانه وتعالى ان يتغمده بالرحمة وان يسكنه فسيح الجنان، وان يخلفه بخير على اهله ووطنه وشعبه وقيادتنا الرشيدة، وعلى رأسها الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي نضع ايدينا نحن الاعضاء السعوديين خاصة في يده بالمبايعة على السمع والطاعة له ولولي عهده والتوفيق والسداد وطول العمر والصلاح في دنياهما وأخرتهما، وان يجعلهما خير خلف لخير سلف، وان يوفقهما في تحمل الامانة ومواصلة المسيرة التي بدأها ووضع اسسها والدهما ووالد الملوك من قبلهما جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يرحمه الله.

لقد حفظ التاريخ للملك فهد (رحمه الله) كثيراً من المنجزات الخالدة، والمآثر البارزة، والافعال المجيدة، والاعمال المشهودة في سبيل تقدم وطنه، ورفاه شعبه، كما سجل له كثيراً من الادوار المشكورة والمأجورة إن شاء الله في حل كثير من القضايا العربية والإسلامية والدولية، وفي قرار السلام والاستقرار العالميين. كل ذلك واكثر لهو مما يحفظ للملك فهد في سجل التاريخ ويضعه بحق في الصفوف الامامية لصناع التاريخ في العالم اجمع.

اما الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ايده الله) فهو من صناع التاريخ كذلك كان خير سند وخير داعم وخير معين لاخيه الملك فهد طوال ولايته للعهد ونيابة عنه في مرضه.. عرف (حفظه الله) محلياً وعربياً ودولياً بشجاعته وصراحته وصدقه وقدرته على اتخاذ القرار، كما عرف بأنه رجل اصلاح لا يقف عند حدود التقليد، وانما ينزع الى الابداع والتطوير مع المحافظة على الثوابت الدينية والوطنية.. عني بالثقافة والتراث منذ بواكير حياته، واشتراكه في مسؤوليات الحكم والادارة. فمنذ ان تولى رئاسة الحرس الوطني جعل التراث والثقافة مساراً ملازماً لمسار ذلك الجهاز العسكري المهم؛ فكان ان اسس المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية الذي عمل على المحافظة على الموروث المحلي، وعلى نشر الثقافة الوطنية في مختلف انحاء المعمورة، واسس مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في جانب من داره بشرق الرياض، ولها فروع في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي بوسط الرياض، وفي الدار البيضاء بالمملكة المغربية، وفي جدة (تحت التأسيس)، ولم يقتصر دور هذه المكتبات على ما تحتوي عليه من نفائس المخطوطات والكتب والدوريات وانما على ما تقوم به من نشر علمي، وما تقيمه من معارض، وتنظمه من محاضرات، وندوات ومؤتمرات وملتقيات محلية وعالمية. وفضلاً عن ذلك فقد اضطلع الحرس الوطني بنشر العديد من المجلات والدوريات والكتب التراثية وغير التراثية في فنون كثيرة كان للملك عبدالله بن عبدالعزيز الفضل بعد الله في طباعتها وتوزيعها ونشرها.

وكما هو الحال بالنسبة لاهتمامات الملك عبدالله وانجازاته في المجال الثقافي يحفظ التاريخ لسمو ولي عهده الامين الأمير سلطان بن عبدالعزيز اهتماماته بالثقافة والتراث الوطني ايضاً، فالكل يشهد له حفظه الله بالعناية الفائقة والتمويل السخي الذي اغدقه سموه على الموسوعة العربية العالمية التي قل ان تخلو منها مكتبة عامة او خاصة في الداخل والخارج، وكذلك تمويله حفظه الله لموسوعة الادب العربي السعودي التي اشترك في اعداد مادتها وتحريرها نخبة من الادباء والاكاديميين السعوديين، وايضاً تمويله لسلسلة آثار المملكة العربية السعودية التي صدرت في ثلاثة عشر مجلداً فاخراً. وقل ان تجد جمعية علمية أو هيئة وطنية وغير وطنية لها عناية بالتراث والتاريخ والثقافة بصورة عامة الا وكان لسمو الأمير سلطان قصب السبق في دعمها وتشجيعها والتبرع لها بسخاء. كل ذلك وغيره مما يحفظه لهما التاريخ من انجازات في تلك المجالات، يبشر بعهد مزدهر ومشرق من الاهتمام بالثقافة والتراث الوطني، وما يتصل بهما من النهوض بالسياحة والمحافظة على الآثار والتراث العمراني، وتشجيع الدراسات التاريخية والوثائقية والارتقاء بها الى آفاق ابعد خدمة للمعرفة الإنسانية بتاريخ المملكة وآثارها وتراثها وحضارتها.

* أمين عام جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون

د. الذييب شارك في مناقشة درجة دكتوراه في جامعة دمشق

■ شارك الدكتور سليمان عبدالرحمن الذييب استاذ الكتابات العربية القديمة بجامعة الملك سعود في لجنة مناقشة لطالبة الدكتوراه في التاريخ القديم معزز نور الله بقسم التاريخ بجامعة دمشق حيث شارك الدكتور الذييب ممتحناً خارجياً وكان موضوع الرسالة حضارة اوجاريت في الألف الثاني قبل الميلاد وهي إحدى الحضارات القديمة التي نشأت في موقع اوجاريت في سوريا وقد حصلت الطالبة على درجة الدكتوراه.